



المظلة الروسية تتمدد على نطاق واسع

الإقطاب". ويضيف ريتز "بينما يواصل الأميركيون النظر إلى روسيا باعتبارها تهديداً عالمياً تجاه سياسة بلادهم الداخلية، تحرك بعض قادة أوروبا في اتجاه مختلف تماماً".

وفقاً لماكرون، ستجلب نهاية الهيمنة الغربية، التي تستند على فرضية هيمنة الولايات المتحدة العسكرية والاقتصادية، معها نهاية "المشروع الأوروبي" (الاتحاد الأوروبي). ولن تتجنب القارة ذلك إذا لم تكن قادرة على التكيف مع هذا الواقع الجديد وتغيير مسار علاقاتها وفقاً له.

وقال ماكرون "يعد دفع روسيا بعيداً عن أوروبا خطأ كبيراً"، وشدد على ضرورة إعادة النظر في العلاقة التي تجتمع الاقتصاد مع البلد. وأضاف "منذ سقوط جدار برلين، بنيت علاقتنا مع روسيا على أساس غياب الثقة". وذكر بأن روسيا موجودة في أوروبا، وحذر من أن دفع موسكو سيرسلها إلى أحضان الصين.

وأشار ماكرون إلى وجوب عمل أوروبا على تحديد طرق للتقارب مع روسيا دون التخلي عن أوكرانيا. وأكد أن القشل في ذلك "سبقي توترا غير لازم، وستتواصل النزاعات المجددة في جميع أنحاء أوروبا التي ستبقى مسرحاً لمعركة استراتيجية بين الولايات المتحدة وروسيا. ويعني ذلك أننا سنستمر في مواجهة عواقب الحرب الباردة على أرضينا".

لا شك أن التهديدات التي حذر ماكرون منها تعتبر واقعا تواجه أوروبا اليوم. ويلفت ريتز إلى أنه يجب إدراك وجود الوضع الراهن في يد روسيا وحدها. فيحلول نهاية العام، سيتم تفعيل خط أنابيب الغاز نورد ستريم 2 الذي سيربط إمدادات الغاز الطبيعي الروسية بالاقتصاد الألماني والأوروبي. بالإضافة إلى تحويل أوروبا إلى طرف أكثر اعتماداً على إمدادات الغاز الروسية، تجعل الخطوة من خطوط الأنابيب القديمة التي تمر عبر أوكرانيا زائدة عن الحاجة. ومن المرجح أن تتوقف روسيا عن نقل الغاز عبر خطوط الأنابيب التي تمر عبر أوكرانيا، مما سيؤدي إلى حرمان البلاد من رسوم كانت تدعم اقتصادها. ولن تستطيع المساعدات المقدمة من الولايات المتحدة أن تعوض هذه الخسارة. لذلك، سيفرق هذا اقتصاد أوكرانيا، مما سيولد المزيد من الفوضى السياسية.

الدفع إلى إعادة النفوذ الروسي إقليمي ودولياً، حيث استقبل الكرملين في مناسبتين المشير خليفة حفتر القائد العام للجيش الليبي عام 2016 ومن بعده استقبل رئيس حكومة الوفاق فايز السراج لتتأكد بداية تعاظم الدور الروسي في القضية الليبية.

ويراهن الروس على إعادة تموقعهم في القارة الأفريقية أيضاً عبر الدخول من بوابة المناطق التي تشهد توترات، فبعد أن بقيت خارج المنافسة طيلة عقود تاركة المجال لأوروبا والولايات المتحدة سياسياً وعسكرياً وكذلك الصين من الناحية الاقتصادية، بدأت روسيا تهتم بأفريقيا وتبحث لها عن موطن قدم هناك.

العلاقات مع أوروبا

دفعت السياسة الخارجية الروسية المتطورة القوى الأوروبية إلى مراجعة مقادعتها لروسيا، والتفكير في إعادة بناء العلاقات بينهما على ضوء التطورات الأخيرة، خاصة وأن دولاً مثل فرنسا وألمانيا تتطلع إلى دور في مرحلة إعادة بناء سوريا، وهو أمر يرى المتابعون أن القرار فيه بات بيد الروس أكثر من النظام السوري.

بعد أن رسخ دوره في سوريا، وفي الساحة الدولية بدأ بوتين يميل أكثر إلى انتهاج سياسة براغماتية

وتظهر الاستدارة الأوروبية من خلال تصريحات الرئيس الفرنسي إيمانويل ماكرون الذي قال في تجمع للدبلوماسيين الفرنسيين بعد اختتام قمة مجموعة السبع "أصبحنا نعيش في نهاية الهيمنة الغربية على العالم. اعتدنا على نظام القرن الثامن عشر العالمي، والذي تأسس على هذه الهيمنة، لكن الأمور تغيرت بسبب أخطاء الغرب في التعامل مع بعض الأزمات".

ولفت إلى هذا التحول الكاتب الأميركي سكوت ريتز في مقال نشرته مجلة ذي أميركان كينسرفاتيف، يقول فيه "بينما يتشبث حلفاء الولايات المتحدة بالقيم القادسي. ويندرج اهتمام الكرملين المتجدد بليبيا في سياق

بوتين ينتهي من ترميم صورة روسيا العظمى لفرض مكانته في عالم متعدد الأقطاب الروس يراهنون على إعادة تموقعهم

موسكو بوتين معالم هذه السياسة، عبر تقديمها عرضاً للسعودية بشراء أسلحة، في سياق ردها على الهجوم الذي استهدف منشآت لشركة أرامكو السعودية للنفط. ورغم أن الخطوة الجديدة تصنف على أنها ستزيد في عزلة إيران، فإن البعض من المتابعين يشدد على أن موسكو تريد الدخول على خط الأزمة كي تكسب كعادتها مغامرات سياسية تدعم نفوذها في المنطقة وفي العالم عبر استنساخ تجربتها في السنوات الأخيرة بسوريا وتطبيقها في مختلف مناطق التوتر.

وقال بوتين عقب الهجوم الذي تتهم فيه السعودية والولايات المتحدة وأوروبا إيران بالوقوف وراءه، خلال قمة عقدت بالعاصمة التركية أنقرة "نحن على استعداد لدعم السعودية بالشكل المناسب". وأشار الرئيس الروسي إلى إمكانية بيع أنظمة صواريخ الدفاع الجوي أس 300 وأس 400، قائلًا إن هذه الأسلحة "يمكن الاعتماد عليها في حماية كل البنية التحتية بالسعودية"، وترك للسعودية حرية الاختيار بين نظام أس 300 والنظام المعدل أس 400، وهي الأسلحة التي كانت سبباً في توتر علاقة أنقرة وواشنطن، وتمن دخول أردوغان في المعادلة السورية.

ويرى المراقبون أن بوتين بلغ الآن مرحلة استغلال الفرصة من خلال الدفع بسياسات بلده إلى توظيف الأزمات المتصاعدة في المنطقة، واستغلال التطورات لفائدته وبما يُبقي حظوظ تصدده في المنطقة وافرة على المدى الطويل.

وتستند رؤية موسكو الحالية على مفهوم "السياسة الخارجية في الاتحاد الروسي" الذي أعلن عنه بوتين بوضوح في عام 2016، والذي يهدف أساساً إلى وجوب "ترسيخ وضع روسيا كمرکز نفوذ في العالم الحالي"، وعبر عنه بوتين بقوله "حدود روسيا لا تنتهي أبداً".

ويقول الباحث الأميركي جيمس دورسي "تعد الجهود الروسية للاستفادة من التوترات المتصاعدة انتهازياً بقدر ما هي استراتيجيية"، لافتاً إلى أن موقف بوتين من الهجوم الذي استهدف السعودية، ولئن لم يتضمن اتهاماً صريحاً، إلا أنه يحمل بين طياته رسالة إلى إيران وتركيا أيضاً.

ورغم أن تصريحه لم يحمل موقفاً واضحاً إلا موقف بوتين يبدو أكثر إقناعاً من موقف الولايات المتحدة، خاصة في ما يتعلق بالتعامل مع إيران. ففي الوقت الذي يبدو فيه ترامب متردداً، ورغم العقوبات التي سلطها على إيران، إلا أن الشرح الذي حدث منذ عهد أوباما يبدو أنه لم يتكلم بشكل كامل وبقيت هناك بعض الصعوبات.

ويجبر عن ذلك ستيفن ا. كوك، الباحث في مجلس العلاقات الخارجية ومقره نيويورك بقوله "القادة في الرياض والوظيفي والمنامة ومسقط يفهمون ما يحدث، وقد تحوّلوا ضد رحيل الولايات المتحدة باتخاذهم مجموعة من الإجراءات، منها تقديم مبادرات إلى الصين وروسيا".

ولعل نقطة قوة روسيا هنا هي أنها حليفة إيران وغربتها في نفس الوقت. فالمليشيات الإيرانية في سوريا ولئن ساعدت على ترسيخ قبضة نظام بشار الأسد، إلا أنها بدأت تشكل مصدر قلق لمصالح روسيا في سوريا على المدى الطويل.

ويرى المراقبون أن روسيا ستحاول اختراق الأزمة الأخيرة منذ الهجوم الحوثي على السفن في مضيق هرمز وصولاً إلى استهداف المنشآت النفطية التابعة لشركة أرامكو وتبعات ذلك على سوق النفط العالمية، عبر الرهان على مواطني الضعف والخلل في السياسة الخارجية الأميركية في منطقة الخليج خاصة أنها ستكون ضمن اقتراح

فتح العرض الذي قدّمه الرئيس الروسي فلاديمير بوتين للسعودية والهدف إلى بيع أسلحة للرياض عقب هجوم الحوثيين الذي استهدف منشآت لشركة أرامكو السعودية للنفط، جدلاً دولياً جديداً حول السياسة الخارجية الروسية وكيفية تعاملها مع القضايا الدولية. فرغم أن الخطوة الجديدة تصنف على أنها ستزيد في عزلة إيران، فإن البعض من المتابعين يشدد على أن موسكو تريد الدخول على خط الأزمة كي تكسب كعادتها مغامرات سياسية تدعم نفوذها في المنطقة وفي العالم عبر استنساخ تجربتها في السنوات الأخيرة بسوريا وتطبيقها في مختلف مناطق التوتر.

في الانتخابات إلى مصدر لاستعراض قوة في وقت لم يعد فيه العالم يتطلع إلى القيادة الأميركية، وفقدت فيه أوروبا ريادتها وأصبحت تمثل عبئاً من وجهة نظر الرئيس الأميركي. ويتعرف الخبراء اليوم أن بوتين، الذي وصف تفكك الاتحاد السوفييتي بأنه "أكبر كارثة جيوسياسية في القرن العشرين"، نجح في إعادة روسيا إلى واجهة الساحة الدولية وإن كان على حساب أسوأ الخلافات مع الغرب تسجل منذ الحرب الباردة.

روسيا في الخليج

تظهر روسيا اليوم في صورة صدقة الكل. ويرى الصحفي حلمي همامي أن "بوتين ذكي في تعامله مع الملفات في الشرق الأوسط، وسياسة تمنحه نقاطاً على حساب الولايات المتحدة". وي طرح كمنال هنا الموقف من إيران، فروسيا حليفة إيران من جهة، ومن جهة أخرى حليفة للسعودية، ولم تؤثر علاقتها بهذه الدولة بعلاقتها مع الدولة الأخرى.

ويقول همامي إن هذا الواقع يجعل بوتين "الوحيد القادر على لحم تحركات إيران في المنطقة"، ويمنحه أفضلية على سياسات الردع والعقوبات التي تنتهجها واشنطن والتي لم تؤت ثمارها. كما يقدم همامي أمثلة أخرى من قبيل علاقة روسيا بفرنزويلا وكوريا الشمالية ودورها في سوريا وحتى في أفغانستان.

لكن، وبعد أن رسخ دوره في سوريا، وفي الساحة الدولية بدأ بوتين يميل أكثر إلى انتهاج سياسة براغماتية. وترجمت

اليوم بالنظر إلى خارطة القوى في المنطقة تبدو موسكو الطرف الوحيد الذي يمسك العصا من الوسط في كل الصراعات تقريبا، منافسو واشنطن في ملعبها. تجمع بوتين، الذي بات يتحرك بهوء وثقة أكبر من السنوات الماضية، علاقة جيدة بدول الخليج العربي، وهو في نفس الوقت حليف إيران الذي يمسك بها من ذراعها التي تؤهلها، وذات الأمر مع الرئيس التركي رجب طيب أردوغان، الذي يتلاعب به بوتين لدرجة أنه لم يعد بمقدوره الإفلات من مصيدته.

ولا يختلف الأمر في علاقتها بأوروبا، حيث تقف موسكو في المنتصف بين دول أوروبية حليفة لها، على غرار النمسا، ودول أخرى توترت بينها العلاقة منذ أزمة أوكرانيا وتصاعدت بعد حادثة تسميم سكريبال وطرد بريطانيا وغالبية الدول الأوروبية لدبلوماسيين روس رداً على اتهام الكرملين بتسميم الجاسوس الروسي السابق.

ويقول خبراء إن روسيا، رغم ما تعانيه من ضعف في الداخل ورغم العقوبات، استفادت من ضعف المنظومة العالمية. لكن، يلفت الخبراء إلى أن الأمر يسبق وصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض، ويعود أساساً إلى استراتيجية التحول الأميركي نحو آسيا لمواجهة الصين.

ركزت الولايات المتحدة برئاسة الديمقراطي باراك أوباما، على تقطين، هما اعتراض تقدم الصين وتوقيع الاتفاق النووي مع إيران. فتحت هذه الاستراتيجية فجرات في سياسات واشنطن في الشرق الأوسط وأحدثت شروخاً في علاقتها بحلفائها التقليديين، خاصة إثر انغماس إدارة أوباما في ملف الاتفاق النووي.

دخلت روسيا من هذه الثغرات، وأعلنت عن وجودها بقوة مع وصول دونالد ترامب إلى البيت الأبيض وحولت الاتهامات الأميركية بالتدخل

